

# رجل الغد

موضوع المحاضرة التي ألقتها المربية الفاضلة الآنسة زينب الحكيم  
في نادى أصدقاء الكتاب المقدس بالفجالة

سأدنى. سيداتى :

يذكرنى هذا الموقف بالوقت الذى أنشأ فيه المرحوم بطرس غالى باشا « الجمعية الخيرية القبطية » فى سنة ١٨٨١ ، حيث كان من بين الخطباء - يوم افتتاحها - الأستاذ الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد النجار ، وعبد الله نديم وغيرهم .

ولو أن الموقف الليلة ليس موقف إنشاء بناء جديد ، إلا أنه افتتاح عهد جديد للمرأة القبطية المسلمة ، تصافح فيه علناً المرأة القبطية المسيحية فى دارها هذه لأول مرة منذ إنشائها ، كما سبق أن تصافح الرجل المسلم أخاه القبطى فى عهد المرحوم بطرس غالى باشا من نحو ٥٤ سنة .

والواقع أيها السادة أنه لا يمكن أى فرد مهما بلغت به قوة الحيلة ، أن ينجح فى التفريق بين مسيحي ومسلم خارج مصر أو داخلها ، لأن أهل مصر رجال حزمة ، ونساء خفيفات « لا دغارة » تستهوى نفوسهم الصغائر أو توهن عزائمهم الشدائد . ولقد كان المرحوم سعد باشا ، والمثلث الرحمت البطريارك السابق ، الفضل فى القضاء على ما تسعى إليه عناصر كثيرة للتفريق بين العنصرين المتحددين اللذين يؤلفان الأمة المصرية ولا يزالان متحدين مع ما يبذل من السعيات للتفريق بينهما . والآن أيها السادة والسيدات ؛ أتحدث إلى حضراتكم عن رجل الغد . ومن هو رجل الغد ؟ هو طفل اليوم وفتى اليوم وشيخ اليوم .

ولست أعنى ذلك الذى لم يتجاوز الثامنة أو التاسعة فحسب ، إنما أعنى الطفل كما يعبر عنه الانجليز ، فإن لفظة الطفل تطلق على الفرد حتى سن العشرين ، ولا إخالن مبالغة إذا قلت إن تلقيب الانسان بالطفل مدى حياته يكون أقرب إلى حقيقة نصيبه منها ، فليس لفظاً : الشيخ والهرم ضدى لفظ الطفل والشاب ، فلقد يكون الفرد فى عامه الخامس أو أدنى ، وعقليته عقلية رجل ، ولا بد قد علمتم حضراتكم أن أصغر فارس فرنسى عمره خمس سنوات ، وأن رجلاً عمره خمس سنوات فى أمريكا ألف كتاباً ، ولقد يكون الشاب الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة أو الذى لم يتم عقده الثالث فى كياسة الرجل المجرب والشيخ المحنك .

ومصطفى كمال الذى نهض بتركيا - بعد أن أذن على جنازتها مؤذن الموت أو كاد كما ترون

وتسمعون عن إصلاحه فيها وإنشائه لها من جديد - أصغر المجددين سنًا الآن . ونيوتن صاحب نظرية الجاذبية كان أصغر فتى في العالم أجمع حاز مثل مركزه ! فقد عين أستاذًا للرياضيات في جامعة كمبريدج ولم يتجاوز الثانية والعشرين . وها هو ذا مصطفى كامل الذي عمل لوطنه في الجزء الأخير من حياته ما لم لعمله أجيال بأسرها في الأعوام ، قد مات وعمره ٤٣ سنة فقط . كأن أسكندر المقدوني الذي فتح الفتوحات وطبقت شهرته الآفاق مات وهو ابن ثلاثين سنة . هذا وقد يكون رجل الأربعين في عقلية اليافع ، وقد يكون الهرم الذي أكل على الدهر وشرب أبله غراً ولا تساوى عقليته عقلية دجاجة أو سمكة ولا أقول طفلاً . إن الطفولة في شؤون الحياة غير طفولة السن وإن تكن هذه مرتبطة بتلك غالباً ؛ حيث أثبت لنا علم النفس قديماً وحديثاً ضرورة ملازمة نشاط الإنسان وجميع ما يحيط به لحالته الخاصة لرأسه المعينة بقدر الإمكان .

أما وقد أخلفت التجارب ظننا في ثمار حياتنا ، وفلذات أكيادنا منذ القدم بحيث لم ينبغ من مجموع سنان هذا الكون إلا أفراد تكاد تحصر عدداً في كل علم وفن ، وهؤلاء هم الذين شقوا طريقهم في الحياة سواء أتهيأت لهم الظروف أم لم تنبأ ، فقد وصلت من هذا الحكم وهذه الحقيقة إلى أنه لا بد في نظامنا العالمي العملي والمعنوي نقص معين يرجع إلى ضعف سبل تطورنا ؛ وبما أن المجال مجال تحليل علمي عملي نرى من ورائه الوصول إلى حل برصينا ونتيجة فعالة لنظمنا إليها لرجل الغد ، أقول :

إن هذا الجيل يسمى جيل الطفل ، وإنه اسم موفق لشدة اليقظة التي أصبحت تحوط الطفل متدرجة ببطء من أيام أفلاطون وبلوتارك اليوناني الذي عاش في القرن الأول للميلاد . وتقدمت تلك الحركة بشكل أسرع من أواسط القرن الثامن عشر حتى بلغت الذروة اليوم . وفي يقيني ، أن هذه العناية الفائقة واليقظة الصادقة نحو الطفل لم تكن إلا وليدة انتباه العقول الفذة المدبرة التي أدت رسالتها إلى العالم على أكل وجه ، وإذا كان هؤلاء قد تنذوا إلى عالم الجهاد والكفاح وسط العواصف القاصفة والأفكار الهائجة والمثبحة جهلاً وغلظة دون أن تساعد أو تعضد في إبان كفاحها ، فلا بد أنها لاقت من الجهد أشقاه ، وقاست من ألوهن آله ، ومن الشدة أمضها . ومع ذلك ظهرت لنا من بينهم عبقریات تبقى مدى الدهر ، وأمثال هؤلاء كثيرون قدماء ومحدثون .

فها هو ذا إدسون النور إله السحر ، وتاريخ حياته حافل بالصعاب من ألقه إلى يائه ، ولكن هل هذه الصعاب أوتقت نبوغه وعبقريته دون أن يبلغ جل أغراضه ؟ هل منعت ظروف الحياة القاسية من أن يخفف من قسوتها ، وأن يشمل العالم أجمع بنور اختراعاته التي تنيف على الألفة ثم هنالك قاسم أمين الذي كانت روحه روح أديب ، روح حساسة ونفس جياشة نائرة

تغزل للبحث والتنقيب ، فتستطلع ما في حياة الكون وحركته من نشاط وجمال ، بل كانت عيناه الواسعتان كما يقول هيكل : « تريدان أن يرى جدّة الوجود الدائمة تتكرر مناظرها فتطبع على صفحات نفسه وحياء وإلهاماً أكثر مما تؤدي إليها المباحث الجافة منطقاً وجدلاً . فكان يحرص على متاعه منها ، ويدعو غيره لهذا المتاع ، وذلك لا يؤثّر إلا رجل فن جميل لا يقف عند التلذذ لنفسه بنعم الحياة ، بل يعبر لغيره عن معاني هذه النعم . فقام أدى رسالته بالتعبير عن شعوره بوصف ما في هذه الحياة من مختلف ألوان الجمال » ، إلى أن قال : « وحياة قاسم كانت كلها متجهة إلى هذه الدعوة ، وكانت متجهة إليها بقوة آخذة بنفسه ، متغلبة عليه ، حالة منه محل الإيمان بها إيماناً صادقاً » .

إنك لتدهش أن تعلم أن قاسماً كان مع كل هذا قاضياً فستشاراً إبان حياته ، وقد قصدت أن أقل لحضراتكم حرفياً هذه الفقرات عن حياة قاسم بقلم هيكل ! لأنني أعتبرها جمعت فأوعت ، وتسجل نفسية كاتب نزيه ، وتظهر سموّاً خلقياً لذلك الكاتب ! وما أجل ما تمتدح به رجل رجلاً ، وليس أعظم من أن يبكي رجل رجلاً ، ولأن تمتدح امرأة امرأة . وبودي أيضاً أن أرى حضراتكم نموذجاً للأسلوب الكتابي الراق والتفكير النثري المنظم ، فلو أخذت نموذجاً لكاتب من طراز آخر وسمعت صدوركم لسماع شيء من كتابته النثرية . لما ترددت في اختيار الدكتور طه حسين ، إذ هو في نظري شخصية عبقرية مزدوجة كقاسم أمين ، فكما كانت لقاسم قدرة تعدد العبقرية كالكتور طه ، فإن الأخير يمتاز في إيجاد فروع للعبقرية الواحدة : ( فهو عبقرى إذا كتب في الأدب ، وعبقرى إذا كتب في النقد ، وعبقرى العباقرة إذا كتب في السياسة ) . وهو مع هذا ليس أديباً أريباً خصب ، بل هو فوق ذلك مرب ماهر ، واجتماعى حصيف ، فتفضلوا بسماع حديثه لابنته في كتابه « الأيام » ص ١٢٧ ، والقارىء لحديثه إلى ابنته يرى عظم الفرق بين طفولته وطفولتها ، وكيف أنه تحمل ما يستطاع وما لا يستطاع للتغلب على شؤون الحياة وتنشئة ابنته هذه وأخيها على أحسن ما يمكن ؛ كذلك نلاحظ أنه في حديثه يولى ابنته ثقة على صغرهما مما يربى شخصيتهما ويشجعها على الاعتماد على النفس ؛ وسلوكه هذا مع أطفاله قدوة طيبة لمن سيكون رجل الغد .

ويهمنى أن آخذ « شوقى » كمثل أعلى للشاعرية المصرية ، فقد كان عبقرياً متفنياً ؛ أما شعره على حدة فلست في حاجة إلى ذكر شيء منه لحضراتكم فكلكم قارىء وكلكم مطلع . وإن ما تخيرته - لأن أسمعهم حضراتكم - قطعة شعرية من قصة كليوباترا لا تظهر شيئاً من عبقريته في هذه الناحية ، ناحية القصص التمثيلية الشعرى ، فلقد صور نفسية المرأة القوية في أشد مواقعها بشكل يشهد له بالمقدرة الفائقة . وليس يعنيننا كثيراً موضوع أزمة كليوباترا النفسية ومحاولتها التخلص منها بالطريقة التي حصلت ، وإنما نريد الوقوف على قدرة « شوقى » في تصوير

تسمية امرأة . وهى من القطعة الشعرية التى مطلعها « هلمى الآن منقذتى هلمى » ، والتى منها :

سقطت روما على ملكى ولصت جواهر أسرتى وحلى آلى  
 فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمى جلالى  
 ومنها: وقد علم البيرة أن تاجى نمته الشمس والأسر العوالى  
 ومنها: يطالبنى به وطن عزيز وآباء ودائعهم غوالى  
 ومنها: أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجبال

وبعد؛ أما آن لنا الأوان وحان لنا الوقت، أن نقوم قومة الرجل الواحد، ونتشبه بتلك المرأة العظيمة فنأبى الضيم على أنفسنا، ونتشبث بحقوقنا كاملة، ونرد جائحة الاستعمار عن عزتنا القومية فتستमित فى الدقاع عن وطننا وحقوقنا إلى آخر رمق لنا فى الحياة ؟ ثم لننتقل إلى عبقرى من طراز آخر ، ذلك هو شلى الشاعر الانجليزى .

ويعجبني منه وقد نشأ فى أسرة جميلة وورثه جده غنى طائلاً ، أنه زهد فى المال ورغب عن الدعة والراحة ، وترك بيت أبيه وأهله جميعاً ، لا على أن يستغل مأوتى من موهبة الشعر وما ورث من مال فينسى ملاكه ولا يستمع لوحيه ، ويذكر شيطانه فيتبع خطواته كما فعل من العرب عمر ابن أبى ربيعة ومن الانجليز بيرون الشاعر ، وإنما سما بنفسه الزكية وإحساسه الراقى إلى جمال الطبيعة وفسيح الخيال ، فترك للناس من بعده أثراً نافعاً يبتى على كر الأيام وممر الليالى .

إلى هنا قد يسألنى البعض فيقول: وما الذى كافأت به الحياة أمثال من ذكرت؟ فأقول: يكفى أنهم انتفعوا بتشغيل قواهم ومواهبهم فى حياتهم إذا لم يكونوا قد انتفعوا أو استمتعوا بشيء آخر . وحقيقة ليس منا من ينكر أو يستهين بما نال عظماء الرجال وعظيمات النساء فى مختلف العصور من أذى ونضال شاق وتضحيات جسام ، إلا أن كل هذا معفو عنه ، ومشاد بفضل به فلولا تضحيات عظماء النفوس ، العظماء الهمة ، العظماء الجذ واللاقdam والمثابرة ! لما وصل العقل البشرى إلى ما نراه فيه من رقى وتطور .

ولو حاولت أن أستمر فى سرد أسماء بعض العظماء والعظيمات ولو اسماً واحداً لكل فريق ممن أمتازوا بعبقریات خارقة ، لطلال فى المقال ؛ فهناك مدام كورى ، وبوديشيا زعيمة المدافعات عن الوطن ، ومنيسورى صديقة الطفل ، ورابعة العدوية زعيمة المتصوفات ، وأم الحسين زعيمة الرحيات ، وهناك نيتشه ، ونسلا ، وسعد ، ونابليون ، ومحمد على ، ولودج ، وغاندى ، وغير هؤلاء كثيرون جداً . والذى أريد أن أقوله الآن ، أن هؤلاء على كثرتهم قليلون بالنسبة إلى عدد الانسان فى العصور السابقة وفى العصر

فكيف نصل برجال الغد إلى أن يكونوا عباقرة مثل هؤلاء ، إذ لم يكن فى جميع نواحي الحياة فى أكبر جزء من المستطاع الممكن ؟! إن زماننا غير زمان من سلفوا ، وقد جاء فى

الأثر الشرقى وقد سبق الغربى ما نصه : « لا تقسموا أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » . والحقيقة أننا نريد ثماراً يانعة ننتفع بها تفعاطياً ، ونصل بواسطتها إلى تأسيس مجتمع راق ، تكون القيادة فيه للعقل ( أى قوى النفس جميعاً ) لا للغريزة الأولية ، أو أن يستمر الخلف مرتكنا على السلف ، والسلف ضاغطاً على الخلف ، مما يفقدهم ميزاتهم الطبيعية من تفكير ونشاط ، فيتراجع الجميع القهقري بدل السير قدماً إلى مراقي الإنسانية . وإن ما يتطلبه أطفالنا اليوم غير ما كان متبعاً بالأمس ، لذلك إذا أردنا أن نسهل على طفل اليوم الوصول إلى هذه الغاية التى نطمح إليها ، فلن يكون ذلك بغير تيسير السبل لظهور نزواته ورغباته وميوله الدفينة إلى حيز العمل المنتج علماً وعملاً ، مع ملاحظة اتزان أجهزته الجسمية خصوصاً جهازه العصبي ، وهذا ما يجب أن يأخذ جزءاً كبيراً من عنايتنا ونشاطنا ، فإننا لو اهتممنا بفعل ذلك ، لرأينا العجب العجيب من ناشئة اليوم ، خصوصاً أن العصر عصر عمل منتج ، وأصبحت الطريق معبدة واضحة ، ويمجد الطفل من الوقت ما يساعده على التفكير والابتكار ، لاسيما وأنه من مزايا الكائن الحى النشاط الذاتى العقلى ، وليس ذلك مقصوراً على أبناء أمة واحدة وإنما يشترك فيه كل كائن حى فى هذا الوجود ، لذلك كان لزاماً أن نطرق باب الرقى البشرى العالمى من هذه الطريق ، وقد اتفق فى ذلك غالبية المربين قديماً وحديثاً ، فقال لوك الانجليزى ( ١٦٣٢ ) فى هذا المعنى : « إن المعارف الحقيقية لا تنال إلا بتمرين العقل . ولكل عقل مميزات خاصة ، لذا وجب أن تكون التربية مؤسسة على ما لكل طفل من مميزات ، وعلى حاجاته الاجتماعية أيضاً ، وأن نهتم بما يكون عليه فى حياته العملية » .

وقال روسو ( ١٧١٢ ) : « ليس معنى الحياة مجرد التنفس ، بل معناها العمل باستعمال أعضائنا وحواسنا وقوانا العقلية . واستعمال كل ما بقى من جسمنا حتى نحس بوجودنا ، فالغرض من الحياة ومن التربية أن نعيش عيشة تامة » .

وقال بتسالتسى ( ١٧٤٦ ) : « يجب ألا يكون التعليم غرضاً فى ذاته ، بل واسطة فى التربية العقلية وتقوية المواهب جميعاً عملياً » وقال فروبل أبو الطفل وحاميه : « يجب أن تكون طرق التربية مرشدة للطفل دون ظهور وتابعة لقيادته بحكمة لى يسير وفق طبيعته لاضدها » .

وإن من أهم قوانينه فى التربية قانون النشاط الذاتى . وإنا نبرهن على صحة نظريته هذه ، بأن تمرين أى عضو فى عمل ما ينتج تقوية ذلك العضو فيه ، وينميه نمواً متناسباً مع تمرينه . وكذلك الطفل إذا استعمل مجهوده الذاتى فى فرع خاص من الرياضات العلمية أو العملية ، فإنه يحصل على النمو المطابق لهذا المجهود ، وبالعكس إذا أساء استعماله فإنه يعطى نموه تعطيلاً متناسباً مع إهمال هذه التمرينات ؛ ومن ذلك ترون أن العقل بقوته الأصلية ونشاطه الخاص به يؤسس لنفسه عالمه الإدراكى . فالعمل والنشاط والحركة تحقق للشخص عالمه الخاص ، ولا سيما

أن النشاط الذاتى الصادر عن البواعث النفسية الخاصة والناجم عن الرغبة والارتياع ، والقائم على توفر القوة للفرد يمكنه من الحصول على الفائدة المقصودة من التربية الصحيحة .

هذا وإن النشاط الذاتى - أو ما أسميه أنا السعى الصادر عن الطفل بطبيعته - يعهد للنفس والعقل فرصاً عظيمة للتهديب بتنسيق وربط بنات أفكاره بما يحيط به . وبذلك يفهم الطفل أن الغرض من وجوده كوحدة مستقلة فى ذاتها دعامة أولية تؤسس عليها الإنسانية .

وبعد فما لا يختلف فيه اثنان أن حرمان الفرد ومن ثم الجماعة ، من ميزة النشاط العقلى والتجارب العملية ، جريمة خطيرة على التقدم القوى والعدالة القومية والنظم الطبيعية .

البلد المصرى بلد الثورات السريعة الهبوب السريعة السكون ؛ وذلك شأن البلاد المغلوبة على أسرها ، ومصر تفوق غيرها فى ضياع نشاطها لسرعة تفرقها وتعدد أحزابها ، ولذلك فاستفادتنا من ثوراتنا قليلة نسبياً ، وإذا ضربنا صفحاً عن الثورات السياسية ، وفكرنا فى شئ أشد مساساً بموضوع بحثنا هذا ، وأخذنا ثورة تعديل المناهج الدراسية منذ عام ١٩٣٤ مثلاً ، ومثلاً حيويًا بهم كل فرد فىنا ، وجدنا أننا لا نسير على نظام معقول صريح للوصول إلى أغراضنا فى مختلف الشؤون بله شؤون التربية والتعليم ، تلك المسألة الهامة العويصة التى يتوقف عليها رقى العالم أجمع . لقد اتفق فى هذا البلد على وضع خبر العشرين إلى الثلاثين مادة لتدرس فى المناهج ، وكلف الطفل ذلك من طور الروضة إلى الدراسة العالية فالتخصص ؛ هذا عدا الاجتماعيات التى تجدر العناية بحركاتها وتشجيع الفش بشتى الوسائل على الاندماج فى سلوكها ، بدل اندفاعه إلى تيار المجتمع الفاسد ، فيغزو المقاهى وأماكن اللهو كالمسخر لإخلاء جيبه وإفلاس مالية والديه ، وتخريب أخلاقه وإفساد مستقبله .

ولكن ، لنقف هنا قليلاً ونسائل أنفسنا : هل أفادتنا ثورة تعديل المناهج ؟ الجواب مع الأسف سلباً ، لأننا نرى الطلاب متأففين والآباء غاضبين والمدرسين ناقلين ، والحقيقة أن المناهج بهذا التعديل لم تخرج لنا رجالاً كنا نطمح فى إيجادهم ، والأسوأ من ذلك أن من شد بذائه ونشاطه واستعداده أهمل شأنه ، واستولى عليه اليأس من دوام عدم تشجيعه .

ومن هذا نرى النفوس ثائرة - ولقد يكون لها الحق فى بعض النواحي - غير أنى أرى أن سبب هذا كله يرجع إلى أساس هام لم ينتبه إليه أحد من القائمين بالإصلاح فى مصر ؛ ذلك هو إصلاح شأن الطفل فى السنوات التى تبدأ من يوم جملة إلى أن يلتحق بالدراسة ( الروضة ) فى سن الخامسة ، متغاضين فى ذلك عن أهمية علاقة الآباء بالبناء . عرف الأمر عنها إلا التزر اليسير ، وثانياً يشكو الجميع من مواضع لا يجب أن تكون موضع شكاية ، بل يجب أن تكون موضع تقدير وعناية ، مثال ذلك أنهم يشكون من كثرة مواد الدراسة مع أن ذلك فيه إعلاء لشأن الطالب ، حيث إنه عامل قوى لتوسيع مداركه وإثراء لشخصيته ، وإن ذلك بمثابة

تواة أولى تمكنه في المستقبل من الصعود عليها إلى أقوم درجات البحث والتفتيش، ومن هذا ترى أن الشكاية كان يجب أن تكون من سوء طرق التعليم وتواكل أوجهل القائمين به، وسوء ترتيب الدراسات المتنوعة في السنة الواحدة وفي مرحلة التحصيل كلها، وجعل دراسة جميع المواد إلزامية لكل طالب، وغير ذلك.

أما السبب الأول وهو الجدير بالعناية الفائقة في نظري، وهو السبب الذي من أجله ضربت الأمثال بالعابرة سألني الذكر، على أن أهيب برجل الغد أن يقتدى بهم، وذلك لكي يكون خير قدوة لأطفاله حينما يكون أباً إن كان رجلاً، وأما إن كانت امرأة خصوصاً وأن العلم والتجارب أكدت أن هناك علاقات ثابتة بين الوالدين وأبنائهم، فهناك:

١ - علاقة طبيعية، وتلك هي رابطة الزواج التي ينشأ بواسطتها الطفل، ومما لا ريب فيه أن هناك ميزات طبيعية ثابتة توضح علاقة الطفل برجل وامرأة هأما، وأبوه؛ فإذا كانا سليمي الجسم والعقل عبقرني المواهب، ظهر ذلك في نتاجهما الذي يجب أن يكون محدود العدد حتى يستطيعا تنشئته بسهولة ونجاح.

٢ - ثم هناك الرابطة الانفعالية بين الوالدين والأبناء، وهذه الصلة مميزة للرابطة الطبيعية، وكثيراً ما نسمع الوالدين يرددان: ابني! ابنتي! ولدي! مع قصد التشديد على إياء المتكلم، وأقل ما في هذا التعبير الانفعالي من مظاهر، هو مظهر الحب الأبوي، وهذا يعني به دائماً ما يكنه الوالدان لأولادهما من المحبة، ولا يشترط أن يعني به ما يكنه الأولاد لأبائهم من محبة، (لأنهم يكتسبون ذلك كلما تقدمت بهم الأيام).

٣ - ثم هناك الرابطة العقلية، فكلماتنا الطفل وتقدمت به سنو عمره، نمت عنده رابطة عقلية خاصة، فهو يحفظ أو يتعلم من والديه إذ يتحدث إليهما عن الأشياء؛ ومما لا شك فيه أن الرابطة العقلية هذه لها ارتباط وثيق بالرابطة الانفعالية سالفة الذكر.

٤ - وأخيراً هناك الرابطة الاجتماعية بين الوالدين والأبناء، فنلاحظ أن الوالد الفخور بابنه والمسرور منه يعرضه لتجارب مختلفة وأشياء ممتازة لا ينالها باقي الأطفال من نفس الأسرة، لأن حالهم لا تدعو إلى الفخر، وليسوا حائزين الرضاء التام من والديهم، والحكم العادل في أمثال هذه الأحوال يتوقف على مقدار ثقافة الوالدين ومقدار دراستهما لأبنائهم، وهنا يظهر فرق كبير بين الطفل الذي يأخذه والده هنا وهناك، وبين الطفل الذي يظل قعيدة البيت حتى إذا ما خرج إلى المجتمع كان أبلاً قليل التجربة، غريباً في محيطه.

لذلك، فنحن في حاجة ماسة إلى عدة فعلية للأباء والأمهات لكي نعاونهم على النهوض بأسرهم من جهة تربية النشء والتعاون على الحياة المشتركة؛ ولقد قدمت أن لفظه الطفل

يصح أن تطلق على الانسان مدى حياته لكي يستطيع الدرس والتنقيب طول هذه الحياة ، إذ لاخير في عقل يقف تفكيره، وحياة تنتهي غايتها.

إذن: نحن في حاجة إلى مدارس خاصة بالآباء تشبهاً بما اتبعته الأمم الراقية للأخذ بناصر الانسانية ، فنذ أوائل القرن العشرين تنبه علماء الاجتماع والتربية إلى الدور الهام الذي يمثله الآباء في تربية رجال الغد لما بين هؤلاء وأولاء من الروابط والعلاقات، وكيف وجد أن هذه الروابط بين الآباء والابناء غير كافية بإعداد النشء إعداداً مرضياً ، لذلك يجب أن نعوض الآباء ما فاتهم في أوقات تحصيلهم ، فزودهم في تلك المدارس بكثير من العلوم المستحدثة ؛ كعلم النفس التجريبي والاجتماع والمنطق والفنون المتنوعة لما لها من أهمية في تربية وتكوين عقلية الناشئ ، كما نساعدهم على دراسة الطفل بنوع خاص في أشهر أطوار حياته خصوصاً طوري الطفولة فالمرحلة ، إتقاء ما عساه ينتج من مشاكل خلقية واجتماعية في المستقبل .

وعليه يجب أن نسرع في إنشاء اتحادات وجمعيات للآباء بحيث تضم الأمهات والآباء من كل الطبقات لنباحتهم وزردهم في أمور تربية رجال الغد ، كما عملت انجلترا وأمريكا عام ١٨٧٧ الأولى و ١٨٩٧ الثانية . وبالضرورة سينشأ عن هذا معاونة المدارس على مهمتها الشاقة ، وسنقدر العناية بالأطفال المهمل والمشردين ، ونعنى بموضوع رعاية الطفل بشكل أعم إن لم يكن بتلك المدارس الخاصة فليكن بكثرة المحاضرات والدراسات والتجارب العملية .

فإن حالتنا الراهنة في مصر حال يشفق على البلد منها ويرثي لآخلاقها ، وإنه طالما لا تأخذ بيد بعضنا بعضاً ، ولا نشد أزر بعضنا بعضاً ، وطالما لا يوجد من يهتئ الله لأن يأخذ بناصرنا ويهديننا الصراط المستقيم ويوجهنا الوجهة الصالحة ، فلن نستطيع أن نطمع في عيشة راضية وجنة عالية على هذه الأرض .

والواجب علينا جميعاً أن تمثّل بقول سالم بن عبد الله: « اجعل الناس أباً وأخاً وابناً ، فبر أبائك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك » . وعلينا أن نعمل كثيراً ولا نتظر أجراً كبيراً . ولا يفوتني أن أقول: إن على المرأة - وأنا واحدة من جنسها - أن تشعر عن ساعد الجدد ، وأن تساهم بميزء وافر من نشاطها وذكائها ومنابرتها لأن تؤدي رسالتها على أكمل وجه ، وأن تأخذ بيد الرجل في تسامح مهيا كلفها ذلك من مشقة .

وليعلم الرجل المصرى أن رسالة المرأة المصرية لا تنفذ إليه إلا إذا استعد لاستقبالها . فإذا كان يرجى للمرأة المصرية الجديدة أن تضارع أختها الثالثة أو أن تتشبه بمثيلاتها من نساء الغرب اللاتي غيرن صفحة التاريخ بما أوحين إلى النوابع والعباقرة ، فلا بد من إعداد الرجل المصرى لتلقى رسالتها بقبول حسن ، وأن يهملها المسكان اللائق بها حتى تنهض بمصرنا نهضة سمو توصلنا إلى الكمال التام .